

# الإمام محمد الباقر

( عليه السلام )

تأليف  
سيد مهدي آيت الله

ترجمة  
كمال السيد

### الميلاد :

وُلد الإمام الباقر في الأول من رجب سنة 57 هجرية في المدينة المنورة ، وهو خامس أئمة أهل البيت ( عليهم السلام ) .  
أبوه الإمام زين العابدين ( عليه السلام ) ، وأمّه " فاطمة " من ذرية الإمام الحسن المجتبي ( عليه السلام ) . وعلى هذا فإن الإمام الباقر ( عليه السلام ) هو أوّل إمام ينحدر من رسول الله أباً وأماً .  
أدرك الإمام الباقر جدّه الحسين ( عليه السلام ) ، وكان عمره أربعة أعوام حين وقعت مذبحة كربلاء . وعاش مع والده السجّاد ( عليه السلام ) خمساً وثلاثين سنة ، وعاش بعد والده ثمانية عشر عاماً وهي مدّة إمامته ، انصرف فيها إلى نشر العلوم والمعرفة الإسلامية .



وسُمّي بالباقر من بقر الأرض أي شقّها وأخرج مخبّاتها ، فهو قد أخرج كنوز العلم والمعرفة ، فسماه الناس الباقر ، وله ألقاب أخرى تدلّ على صفاته الأخلاقية ؛ منها : الشاكر والهادي .

صادفه الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري وهو صغير ، فقال له : يسلم عليك رسول الله . فتعجّب الناس . فقال لهم جابر : كنت جالساً عند رسول الله ذات يوم وفي حجره الحسين ( عليه السلام ) يداعبه ، فقال لي :

يا جابر يولد له مولود ، اسمه علي ، إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ :

ليقم سيدّ العابدين ، ثم يولد من علي ولدٌ اسمه محمد يبقر العلم بقرا فإن أدركته يا جابر فاقرأه عني السلام .

وكانت للإمام بساتين يعمل فيها بيده ، ويشارك الفلاحين طعامهم ، وكان يُنفق ريعها على الفقراء والمحتاجين ، وكان في ذلك أسخى أهل زمانه .

وقد ورد في كتب التاريخ أن " محمد بن المنكدر " ، وكان متصوفاً ، قال : ما كنت أرى أن مثل علي بن الحسين يدع خلفاً أفضل حتى رأيت ابنه " محمداً ( عليه السلام ) أردت أن أعظه فوعظني ، خرجت إلى بعض نواحي المدينة في ساعة حارة ، فلقيت محمداً بن علي ( عليه السلام ) وهو متكئ على غلامين له ، فقلت في نفسي : شيخ من شيوخ قريش في هذه الساعة على هذه الحال في طلب الدنيا ، والله لأعظنه ، فدنوت منه وسلّمت عليه ، فسلم عليّ وكان يتصبّب عرقاً ، فقلت : أصلحك الله ، شيخاً من أشياخ قريش في هذه الساعة في طلب الدنيا . كيف لو جاءك الموت وأنت على هذه الحالة ؟!



فخلى الإمام يديه عن الغلامين وتساند وقال " لو جاءني - والله - الموت وأنا على هذه الحال ، جاءني وأنا في طاعة من طاعات الله أكفّ بها نفسي عنك وعن الناس ، وإنّما كنت أخاف الموت لو جاءني وأنا على معصية من معاصي الله . فقلت : يرحمك الله أردت أن أعظك فوعظتني . كان موقف الإمام حازماً لكي يدرك الناس أن طلب الرزق عبادة وطاعة لله ، لا ترك العمل والانقطاع للصلاة والعيش عبثاً على الآخرين كما يفعل المتصوفون من أمثال بن المنكدر وغيره .

### منزلة العلمية :

كان رجل من أهل الشام يتردد على مجلس الإمام محمد الباقر ( عليه السلام ) ؛ وكان يقول له : لا يوجد أحد في الأرض أبغض إليّ منكم وإنّ طاعة الله وطاعة رسول الله في بضعكم ، ولكن أراك رجلاً فصيحاً لك أدب وحسن لفظ ، وأن حضوري مجلسك

هو لحسن أدبك ، وكان الإمام في كل مرة يقول له خيراً أو يقول له : لن تخفى على الله خافية .



ومرّت أيام انقطع فيها الرجل الشامي ، فافتقده الإمام وسأل عنه فقال بعضهم : إنه مريض .

ذهب الإمام لعيادته ، وجلس عنده يحدثه وسأله عن علّته ونصحه الإمام بتناول الأطعمة الباردة ، ثم انصرف .

مضت أيام ونهض الشامي من فراشه بعد أن عوفي من مرضه ، فكان أول شيء فعله هو أن انطلق إلى مجلس الإمام واعتذر إليه ، وأصبح من أصحابه .

وسأل رجلٌ عبدَ الله بن عمر بن الخطاب عن مسألة فحار في جوابها ثم قال له : اذهب إلى ذلك الغلام فسله وأعلمني بالجواب ، وأشار إلى محمد الباقر . فجاءه الرجل وسأل الإمام وعاد إلى ابن عمر .

### حوار مع عالم نصراني :

روى الإمام الصادق ( عليه السلام ) أنه كان في الشام مع أبيه عندما استدعاه هشام بن عبد الملك .

وذات يوم رأى في أحد الميادين جموعاً من الناس تنتظر ، فسأل عن ذلك فقالوا له : إنهم ينتظرون عالمهم وهو لا يخرج في العام إلا مرة فيسألونه ويستفتونه ، فجلس الإمام معهم حتى جاء العالم النصراني ، وعندما رأى النصراني الإمام ( عليه السلام ) سأله : هل أنت منّا أم من هذه الأمة المرحومة ؟

فقال الباقر ( عليه السلام ) : بل من الأمة المرحومة .



فقال النصراني : من جُهاّ لها أم علمائها ؟ .

فقال الإمام : لستُ من جُهاّ لها .

فقال العالم النصراني : لديّ أسئلة :

من أين ادّعيتم أن أهل الجنّة يأكلون ويشربون ولا يتبولون ؟

فقال الإمام : دليلنا الجنين في بطن أمّه يُطعم فلا يُحدث .

فقال العالم النصراني : أخبرني عن ساعة لا هي من ساعات الليل ولا من

ساعات النهار .

فقال الإمام : الساعة بين طلوع الفجر وطلوع الشمس . . يهدأ فيها المبتلى

ويرقد فيها الساهر .

فوجئ النصراني بأجوبة الإمام ، فأراد أن يفحمه بسؤال جديد ، فقال : أخبرني

عن مولودَيْن وُلدا في يوم واحد وماتا في يوم واحد ، عُمّر أحدهما خمسون سنة وعمر

الآخر مائة وخمسون سنة .

فقال الإمام : عزير وأخوه ، وكان عمر عزير خمسة وعشرون سنة . . مرّ على

قرية بأنطاكية وهي خاوية على عروشها فقال : {أنتى يُحىي هذه الله بعد موتها} [1] .

فأماته الله مائة عام ثم بعثه ، وعاد إلى داره شابّاً ، فيما كان أخوه شيخاً كبيراً طاعناً

في السن ، فعاش مع أخيه خمساً وعشرين سنة ، ثم مات مع أخيه في يوم واحد .

وتعجّب العالم النصراني من سعة علم الإمام ، فأعلن إسلامه أمام الملائكة كما

أسلم أصحابه .

### في مجلس هشام :

بعث هشام بن عبد الملك وراء الإمام محمد الباقر ( عليه السلام ) وابنه جعفر الصادق ، فغادرا المدينة إلى الشام .



كان هدف هشام أن يستعرض أبهة الملك فدخل عليه الإمام ، وكان جالساً على سرير الملك ، وحوله الجند مسلحين وبين يديه عليّة القوم يرمون هدفاً بالسهم ، فقال : يا محمد إرم مع أشياخ قومك هذا الغرض . فقال الإمام : إني قد كبرت عن الرمي فاعفني . رفض هشام وأصرّ على الإمام وأشار إلى شيخ من بني أمية أن يناوله القوس . فأخذ الإمام القوس وتناول سهماً فوضعه فيه وسدّد نحو الهدف فأصاب مركزه ، ثم تناول الثاني فأصاب المركز مرّة أخرى . . حتى تكاملت تسعة أسهم .



دهش هشام لبراعة الإمام ومهارته الفائقة فهتف : أجدت يا أبا جعفر ، أنت أرمى العرب والعجم . . هذا وأنت تقول : كبرت عن الرمي .

ثم قاد الإمام وأجلسه عن يمينه وقال : يا محمد لا تزال العرب والعجم تسودها قريش مادام فيهم مثلك ، لله درك ! مَنْ عَلَّمَكَ هذا الرمي ؟ وفي كم تعلّمته ؟ فقال الإمام : تعلّمته أيام حدثني ثم تركته .

فقال هشام : ما أظن أن في الأرض أحداً يرمي مثل هذا الرمي . أيرمي جعفر مثل رميك ؟

فقال الإمام : نحن أهل بيت نتوارث الكمال والتمام اللذين أنزلهما الله على نبيه (صلى الله عليه وآله) في قوله تعالى : {اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً} .

فقال هشام وقد احمرّ غضباً : من أين ورثتم هذا العلم وليس بعد محمد نبي ولا أنتم أنبياء ؟

فقال الإمام : ورثناه عن جدنا علي (عليه السلام) وقد قال : علّمني رسول الله ألف باب من العلم . . ينفث عن كل باب ألف باب .

ظلّ هشام ساكناً يفكّر ، ثم أمر بإعادة الإمام وابنه إلى المدينة بأسرع وقت خوفاً من أن يتّجه الناس إليه .

### النقد الإسلامي :

كانت الاشتباكات على الحدود عنيفة بين الدولة الإسلامية ودولة الروم ، فهذّب امبراطور الروم عبد الملك بن مروان بقطع النقد عن الدولة الإسلامية إذا لم يتنازل عن المناطق المتنازع عليها ، فارتاع عبد الملك ولم يدّر ما يصنع ، وجمع أعيان المسلمين يستشيرهم فلم ينتهوا إلى نتيجة ، فأشار بعضهم بالرجوع إلى الإمام الباقر .

أرسل عبد الملك يدعو الإمام إلى الشام ، ولبّى الإمام الدعوة ، وعندما عرضت عليه الأزمة ، قال الإمام لعبد الملك : لا يهولنك ما ترى أرسل إلى ملك الروم واستمهله مدة من الزمن ، وخلال هذه المدة أرسل إلى حكام المدن والأقاليم و أمرهم بجمع الذهب والفضة ، حتى إذا توفّرت الكمية المناسبة ، باشير بضرب النقود الإسلامية .

ثم حدّد له الإمام وزنها وشكلها ، وأمره أن يكتب على أحد وجهيها : " محمد رسول الله " ، فإذا انتهى العمل منها يمنع التعامل بالنقد الرومي وعندها لا يبقى لإمبراطور الروم نفوذاً يستغلّه ضد الدولة الإسلامية .

ولما انتهى العمل وتوفر النقد الإسلامي ، بعث عبد الملك رأيته النهائي في مسألة الحدود ، ولم يجد إمبراطور الروم وسيلة للضغط الاقتصادي فاختر الحل العسكري ، ولكنه أخفق في ذلك أيضاً بعد أن تصدى المسلمون لجيوشه . وهكذا أنقذ الإمام الباقر دولة الإسلام من استغلال الأعداء وأصبح لهم نقد مستقل يحمل شعار الإسلام .

### أصحاب الإمام :

توفرت للإمام الباقر فرصة حسنة لنشر العلم وإرساء معالم مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) بعد أن انصرف الأمويون إلى إخماد القلاقل هنا وهناك .



وقد برز في عهد الإمام بعض تلاميذه الذين كان لهم دور كبير في نشر معارف أهل البيت (عليهم السلام) ؛ وفي طليعتهم :

1. أبان بن تغلب : وقد عاصر ثلاثة من أئمة أهل بيت (عليهم السلام) ، فقد حضر مجالس الإمام السجّاد والإمام الباقر كما لازم الإمام الصادق (عليهم السلام) ولكنه أخذ عن الإمام الباقر أكثر . وكان متفوقاً في علوم الفقه والحديث والأدب واللغة والتفسير والنحو ، وقد قال له الإمام الباقر : اجلس في مسجد المدينة وأفت الناس فإنّي أحبّ أن يرى في شيعتي مثلك .



2. زرارة بن أعين : قال فيه الإمام الصادق ( عليه السلام ) : لولا زرارة لظننت أن أحاديث أبي ستذهب . وكان يترحم عليه قائلاً : رحم الله زرارة بن أعين لولا زرارة ونظراؤه لاندرست أحاديث أبي .

3. محمد بن مسلم الثقفي : كان الإمام الصادق يجلّه و يحبّه ؛ وهو أحد الأربعة الذين قال فيهم الصادق ( عليه السلام ) : أربعة أحبّ الناس إليّ أحياء وأمواتاً ، كما أمر بعض أصحابه بالرجوع إليه قائلاً : سمع أحاديث أبي وكان عنده وحيهاً ، وكان محمد بن مسلم يقول : سألت أبا جعفر الباقر عن ثلاثين ألف حديث .

وقد أثنى الإمام الصادق على أصحاب أبيه ، وكان يقول : لو أنّ أصحابي سمعوا وأطاعوا لأودعتهم ما أودع أبي أصحابه . . . إنّ أصحاب أبي كانوا زيناً لنا أحياءً و أمواتاً .  
ومن أصحاب الإمام الباقر أيضاً : الكميت الأسدي الشاعر المعروف كان الإمام الباقر يقول - كلما لقاه : اللهم اغفر للكميت .

### شهادة الإمام :

على الرغم من انصراف الإمام الباقر إلى العلم ونشر الدين فإنّ حكام بني أمية لم يكونوا يتحملون وجوده ؛ خاصة يعد أن عرف الناس فضله وعلمه ، وبهرتهم شخصيته الأخلاقية والإنسانية ، كما أن انتسابه إلى الرسول ( صلى الله عليه وآله ) عزّز من مكانته في قلوب المسلمين .

كان هشام يفكر في القضاء على الإمام ، وأخيراً سنحت له الفرصة فدرس له السمّ ، واستشهد الإمام في 7 ذي الحجة سنة 114 هجرية . بعد أن عاش 57 سنة قضاه في التقوى والصالح وخدمة الإسلام والمسلمين ونشر علوم أهل البيت ( عليهم السلام ) .

### من كلماته المضيئة :

1. ما دخل قلب امرئ شيء من الكبر إلاّ نقص من عقله .
2. عالم ينتفع بعلمه أفضل من ألف عابد . . والله لموت العالم أحبّ إلى إبليس من موت سبعين عابداً .
3. قال لأحد أولاده : يا بني إياك والكسل والضجر فإنهما مفتاح كل شرّ ، إنك إن كسلت لم تؤدّ حقاً ، وإن ضجرت لم تصبر على حق .

4. كفى بالمرء عيباً أن يبصر من الناس ما يعمى عليه من نفسه ، وأن يأمر الناس بما لا يستطيع التحول عنه وأن يؤدي جليسه بما لا يعنيه .
5. قال لأحد أصحابه : أوصيك بخمس : إن ظلمت فلا تظلم ، وإن خانوك فلا تخن ، وإن كذبت فلا تغضب ، وإن مُدحت فلا تفرح ، وإن ذممت فلا تجزع.

### هوية الإمام :

- الاسم : محمد .  
اللقب : الباقر .  
الكنية : أبو جعفر .  
اسم الأب : السَّجَّاد ( عليه السلام ) .  
تاريخ الولادة : 1 رجب سنة 57 هجرية .  
محل الولادة : المدينة المنورة .  
تاريخ الشهادة : 7 ذي الحجة سنة 114 هجرية .  
محل الدفن : البقيع / المدينة المنورة .

### أسئلة :

1. لماذا لُقّب الإمام محمد ( عليه السلام ) بالباقر ؟
2. ما هي فكرة الإمام في حل أزمة النقد ؟
3. اذ كر حديثاً للإمام الباقر وشرحه ؟